

القدوة الحسنة

٧

موفق الدين
ابن قدامة المقدسي
صاحب المغني

محمد خير يوسف

دار ابن خزيمة

الألوكة
www.alukah.net

موقِّع الدين
ابن قدامة المقدسي
صاحب المغني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القدوة الحسنة

(٧)

موفق الدين
ابن قدامة المقدسي
صاحب المغني

محمد خير يوسف

دار ابن خزيمة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وأصحابه أجمعين .

ابن قدامة المقدسي

0

القدوة الحسنة

يقول هذا الإمام الجليل مخاطباً نفسه :

أَتَغْفُلُ يَا ابْنَ أَحْمَدَ وَالْمَنَايَا
شَوَارِعُ تَخْتَرْمَنَكَ عَنْ قَرِيبٍ؟
أَغْرَكَ أَنْ تَخَطَّتْكَ الرَّزَايَا؟
فَكَمْ لِلْمَوْتِ مِنْ سَهْمٍ مُصِيبٍ!
كَوْسُ الْمَوْتِ دَائِرَةٌ عَلَيْنَا
وَمَا لِلْمَرْءِ بُدٌّ مِنْ نَصِيبٍ
إِلَى كَمْ تَجْعَلُ التَّسْوِيفَ دَائِبًا
أَمَا يَكْفِيكَ إِذْأَرُ الْمَشِيبِ؟
أَمَا يَكْفِيكَ أَنْكَ كُلَّ حِينٍ
تَمُرُّ بِقَبْرِ خَلٍّ أَوْ حَبِيبٍ؟
كَأَنَّكَ قَدْ لَحِقْتَ بِهِمْ قَرِيبًا
وَلَا يُغْنِيكَ إِفْرَاطُ النُّحَيْبِ!

.. ولعل هذه الأبيات تضع يديك على شيء جديد

من سيرة هذا الإمام العالم !!

نعم . . ! ستلمس في سيرته أنه كان من أهل الزهد
والصلاح والعبادة . . فهو بالإضافة إلى عمامته التي
أرخاها طويلة على كتاب «المغني» ، الموسوعة الفقهية
الحنبلية ، فإنه لم يجمد مداد قلمه على هذا الكتاب ، ولم
يستوقف نفسه العميق على مسائله الفرعية التي أمضى
شطراً كبيراً من حياته معه . . بل كان يستفيد من
مطالعاته ، ويقيد ما يراه مفيداً ، ويروي عن العلماء ،
ويناقشهم في ابتسامه الفقيه الذي ملئ علماء!

فإذا كانت صورته ماثلة أمام العلماء والباحثين بأنه
الفقيه الذي أمضى حياته بين المسائل الفقهية ، فإن ما
ورد في سيرته ومؤلفاته الأخرى تفيد بأنه كان ذلك العالم
الموسوعي المعرفة والبحث ، الرقيق القلب ، الدمث
الأخلاق ، الزاهد في الحياة ، العابد الراكع الساجد ،
المجاهد الشجاع والرامي الحاذق ، الذكي الحصيف . .

يقول عنه ابن النجار : كان دائم السكوت ، حسن

ابن قدامة المقدسي

٧

القدوة الحسنة

السُّمْتُ ، نَزْهًا ، وَرِعًا ، عَابِدًا . . عَلَى وَجْهِهِ النُّورُ ،
وَعَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْهِيبَةُ ، يَنْتَفِعُ الرَّجُلُ بِرُؤْيَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ
كَلَامَهُ !

ويقول سبط ابن الجوزي : لم يكن في زمانه بعد
أخيه أبي عمر والعماد ، أزهد ولا أروع منه . وكان كثيرَ
الحياء ، عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، هيناً ، ليناً ،
متواضعاً ، محبباً للمساكين ، حسن الأخلاق ، جواداً ،
سخياً . من رآه كأنه رأى بعض الصحابة ، وكأنها النور
يخرج من وجهه ، كثير العبادة ، يقرأ كلَّ يوم وليلة سُبْعاً
من القرآن . .

وقال أيضاً : شاهدتُ من الشيخ أبي عمر ، وأخيه
الموفق ، ونسييه العماد ، ما نرويه عن الصحابة
والأولياء . . فأنساني حالهم أهلي وأوطاني ، ثم عدتُ
إليهم على نية الإقامة ، عسى أن أكون معهم في دار
المقامة !

ابن قدامة المقدسي

٨

القُدوة الحسنة

بل إن له من النظم الرقيق ما يضع أيدينا على منحاه
السلوكي في الحياة ، كما مرَّ بنا في الأبيات السابقة . وهو
القائل أيضاً :

أبعدَ بياضِ الشعرِ أعمُرُ مسكناً
سوى القبرِ إني إن فعلتُ لأحمقُ
يخبرني شبيبي بأني ميتٌ
وشيكاً وينعاني إليَّ فيصدُقُ
كأني بجسمي فوق نعشي ممدداً
فمن ساكتٍ أو مُعولٍ يتحرَّقُ
إذا سُئلوا عني أجابوا وأعولوا
- وأدُمعهم تنهلاً - هذا الموفقُ
وغُيِّبَتْ في صدعٍ من الأرضِ ضيقتُ
وأودعتُ لحداً فوقه الصخر مطبق
ويحشو عليَّ الترابَ أوثقُ صاحبُ
ويُسلمني للقبر من هو مُشفقُ

ابن قدامة المقدسي

٩

القدوة الحسنة

فيا ربّ كن لي مؤنساً يوم وحشتي
فإني بما أنزلته لمصدّق
وما ضرّني أني إلى الله صائرٌ
ومَنْ هو مِنْ أهلي أبرُّ وأرفق؟

ومن نظمه أيضاً ما ذكره أبوشامة :
لا تجلسن بياب مَنْ
يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتي إلي
ه يعوقها إن لم أداره
اتركه واقصد ربّها
تُضَيُّ وربُّ الدار كاره !

* * *

إنه الشيخ الإمام ، العلامة ، المجتهد ،
موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن

ابن قدامة المقدسي

١٠

القوة الحسنة

قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجَمَاعِي ، ثم
الدمشقي ، الصالحي ، الحنبلي .

مولده بجماعيل ، إحدى قرى مدينة نابلس ، سنة
٥٤١هـ ، في أسرة عُرفت بالعلم والصلاح .

هاجر مع أهل بيته وأقاربه إلى دمشق وله عشر
سنين .

حفظ القرآن ، وحفظ «مختصر الخِرَقِي» في الفقه ،
وسمع الحديث من والده وغيره ، وقرأ على المشايخ
الكبار .

ثم رحل إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ
عبدالغني بن عبدالواحد بن علي المقدسي سنة ٥٦١هـ .
وأقاما هناك أربع سنوات ، أتقنا خلالها الفقه والحديث
والخلاف . أقاما أولاً عند الشيخ عبدالقادر بن عبدالله
الجيلي في مدرسته مدة شهر ، حيث وافاه أجله في تلك
السنة ، ثم أقاما عند الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن

ابن قدامة المقدسي

||

القُدوة الحسنة

الجوزي . ثم انتقلا إلى رباط النعّال ، واشتغلا على ابن
المنّي .

وعاد الموفّق مرة أخرى إلى بغداد سنة ٥٦٧هـ ومعه
عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي
المقدسي ، فأقاما سنة .

وحجّ سنة ٥٧٣هـ ، فسمع بمكة ، وفي طريق
العودة وصل إلى بغداد عام ٥٧٤هـ ، حيث بقي فيها
سنة . كما رحل إلى الموصل . وأخذ العلم عن أساتذته
هذه المدن الأربع .

وقد جدّ موفق الدين في الدراسة على أساتذته ،
حتى أصبح إماماً في الفقه والفتيا ، عارفاً بالحديث ،
عالماً بالخلاف . . وعلوم كثيرة ، آخذاً من كل ذلك
بالنصيب الأوفى .

وفي دمشق اشتغل بتصنيف كتاب المغني . وتصدّر

ابن قدامة المقدسي

١٣

القُدوة الحسنة

في جامع دمشق مدةً طويلةً ؛ فهو الذي كان يؤمُّ الناس بالجامع المظفري بعد موت خيه أبي عمر ، ويخطب يوم الجمعة إذا حضر ، فإن لم يحضر خطب عبدالله بن أبي عمر . وكان هو إمامَ محراب الحنابلة بجامع دمشق ، فيصلي فيه إذا كان في البلد .

قال ابن كثير : وكان يتنقَّل بين العشاءين بالقرب من محرابه ، فإذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرج الدولعي بالرصيف ، وأخذ معه من الفقراء من تيسر ، يأكلون معه من طعامه . وكان منزله الأصلي بقاسيون ، فينصرف بعض الليالي بعد العشاء إلى الجبل .

وكان لا يكاد يناظر أحداً إلا وهو يبتسم ، حتى قال بعض الناس : هذا الشيخ يقتل بتبسمه خصمه !
وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه !

وأقام مدةً يعمل حلقة يوم الجمعة بجامع دمشق يناظر فيها بعد الصلاة ، ثم ترك ذلك في آخر عمره .

ابن قدامة المقدسي

١٣

القدوة الحسنة

وكان يشتغل عليه الناس من بكرة إلى ارتفاع النهار ، ثم يُقرأ عليه بعد الظهر ، إما الحديث ، وإما من تصانيفه ، إلى المغرب . وربما قرئ عليه بعد المغرب وهو يتعشى .

وكان لا يُري لأحد ضجراً ، وربما تضرّر في نفسه ولا يقول لأحد شيئاً !

.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لم يدخل الشام بعد الأوزاعي فقيه أعلم من موفق الدين !

وقال الصفدي : كان أوحده زمانه ، إماماً في علم الخلاف ، والفرائض ، والأصول ، والفقه ، والنحو ، والحساب ، والنجوم السيارة ، والمنازل ..

وقد وصفه الذهبي بأنه كان من بحور العلم وأذكياء العالم !

وقال الكتبي - صاحب فوات الوفيات - : كان إماماً ، حجة ، مصنفاً ، متفنناً ، محرراً ، متبحراً في العلوم ، كبير القدر .

ولقبه الذهبي وابن رجب بـ «شيخ الإسلام» .

ابن قدامة المقدسي

١٤

القُدوة الحسنة

ويقول فيه ابن رجب : الفقيه الزاهد ، الإمام ،
 شيخ الإسلام وأحد الأعلام .
 وأورد قول الحافظ عمر بن الحاجب في معجمه :
 هو إمام الأئمة ومفتي الأمة ، خصّه الله بالفضل الوافر ،
 والخاطر الماطر ، طنّت في ذكره الأمصار ، وضنّت
 بمثله الأعصار .
 ونقل الذهبي عن الضياء المقدسي قوله : سمعتُ
 المفتي أبا بكر محمد بن معالي بن غنيمة يقول : ما أعرف
 أحداً في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق .

* * *

أما أوصافه ، فقد كان معتدل القامة ، أبيض ،
 مشرق الوجه ، أدعج ، كأن النور يخرج من وجهه
 لحسنه ، واسع الجبين ، طويل اللحية ، قائم الأنف ،
 مقرون الحاجبين ، نحيف الجسم ، لطيف اليمين
 والقدمين . .

ابن قدامة المقدسي

١٥

القوة الحسنة

قال الشيخ عبدالله اليونيني : وأعظم من ذلك وأحسن ، ما كان جَبَلَةً وطبعاً ، كالحِلْم والكرم والعقل والحياء ؛ وكان قد جَبَلَهُ اللهُ على خُلُقٍ شريف ، وأفرغ عليه المكارم إفراغاً ، وأسبغ عليه النِّعم تطوف به في كل حال .

وكان ذكياً ، حسن التصرف . . وكان البهاء يصفه بالشجاعة ، وقال : كان يتقدّم إلى العدو ، وجرح في كفه ، وكان يُرامي العدو .

وقد كان جهاده مع أخيه محمد «أبي عمر» أثناء الحروب الصليبية ، تحت قيادة بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ ، وكان عُمُرُ موفق الدين آنذاك (٤٢) سنة . وكانت له ولأخيه خيمة ينتقلان بها مع المجاهدين .

قال البهاء : وكان يصلي بخشوع ، ولا يكاد يصلي سنة الفجر والعشاءين إلا في بيته . وكان يصلي بين

ابن قدامة المقدسي

١٦

القُدوة الحسنة

العشاءين أربعاً بـ «السجدة» و«يس» و«الدخان» و«تبارك»، لا يكاد يُجَلُّ بهن . ويقوم السَّحَر بسَبِّح ، وربما رفع صوته ، وكان حسن الصوت .

قال أبوشامة : وجاء مرة الملك العزيز ابن الملك العادل - وهو صاحب المدرسة العزيرية - يزوره ، فصادفه يصلي ، فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته . ثم اجتمع به ، ولم يتجوَّز في صلاته .

ويقول ابن رجب : ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق الكلام . وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره ، لا يرى إطلاق ما لم يؤثر من العبارات ، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات ، من غير تشبيه ولا تكييف ، ولا تمثيل ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل .

*

*

*

ابن قدامة المقدسي

١٧

القُدوة الحسنة

وقد وضع الإمام موفق الدين لنفسه مشيخة حافلة ، ومن شيوخه البارزين :

- شُهدة بنت أحمد بن الفرج الدَّيْنُورِيَّة ، فخر النساء ، الكاتبة ، المعمِّرة ، مسندة العراق . كانت دَيِّنة ، عابدة ، سالحة . كان لها برٌّ وخير . سمع عليها خلق كثير . وكان لها السماع العالِي ، ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر . وكان سماعها صحيحاً ، واشتهر ذكرها وبعُد صيتها . ت ٥٧٤هـ .
- عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، إمام عصره في الوعظ ، صاحب التصانيف الكثيرة . وقد حدَّث عنه . ت ٥٩٧هـ .
- عبدالقادر بن عبدالله الجيلي (أو الجيلاني) شيخ بغداد ، العالم الزاهد المعروف . ت ٥٦١هـ .
- عبدالله بن أحمد بن الحشّاب ، إمام عصره في علم العربية والنحو . ت ٥٦٧هـ .

- المبارك بن علي البغدادي الحنبلي ، إمام الحنابلة ، بالحرم . ت ٥٧٥ هـ .
- نصر بن فتيان بن المنّي النهرواني ، المفتي ، الذي تخرّج على يديه أئمة كثيرون . . وكان زاهداً عابداً . . كان فقيه العراق وشيخ الحنابلة . ت ٥٨٣ هـ .
- هبة الله بن الحسن العجلي السامري ، المعروف بابن الدقاق . كان مسند بغداد ، صحيح الرواية ، متديناً . وهو أقدم مشايخ موفق الدين .
- كما تخرّج على يديه علماء كثيرون ، فأفتوا وتصدّروا ، منهم :
- عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ، المؤرخ المعروف بأبي شامة . ت ٦٦٥ هـ .
- عبدالرحمن بن رزين بن أبي الجيش ، قُتل شهيداً بسيف التتار سنة ٦٥٦ هـ .
- عبدالرحمن بن عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي ، الفقيه الزاهد ، وكان يؤم معه في جامع بني أمية

- بمحراب الحنابلة . وهو صاحب تصانيف نافعة .
 وكان ربانياً ، دينياً ، حافظاً . ت ٦٤٣ هـ .
- أبو عبد الله اليونيني الحنبلي ، المحدث الحافظ الزاهد ،
 الذي كانت له منزلة عند الملوك . . وكان يرجع إليه
 الفقهاء لعلمه وأمانته .
- عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، المحدث والفقير
 الشافعي المعروف . لم يكن في زمانه أحفظ منه . وهو
 صاحب كتاب الترغيب والترهيب . ت ٦٥٦ هـ .
- عثمان بن عبد الرحمن الكردي ، أبو عمرو ، المعروف
 بابن الصلاح . كان من كبار الأئمة ، حافظاً ،
 ورعاً ، زاهداً . له مقدمة مشهورة في علم الحديث .
- محمد بن سعيد بن الديبشي ، الحافظ . ت ٦٣٧ هـ .
- محمد بن عبد الرحيم السعدي المقدسي الصالحي ،
 المحدث القدوة . ت ٦٨٨ هـ .
- ابن النجار ، الذي ذيل على تاريخ بغداد للخطيب ،
 الذي رحل في طلب العلم سبعة وعشرين عاماً . وله

ابن قدامة المقدسي

٢٠

القوة الحسنة

ثلاثة آلاف شيخ ، منهم ابن قدامة . وكان إماماً ،
ثقة ، حجة ، مقرباً ، مجوداً ، كيساً ، متواضعاً ،
صالحاً ، خيراً ، متنسكاً .

* * *

وله ما يقرب من خمسين مؤلفاً ، في الحديث
وعلموه ، وفي أصول الدين ، والفقه وأصوله ،
والفضائل ، والزهد ، والتاريخ ، والأنساب .

وقد اشتهر بوضع سلسلة متدرجة في كتب الفقه .
أبسطها كتاب «العمدة» المخصص للمبتدئين ، حيث
يقتصر على عرض رأي واحد من الآراء الواردة .
ثم «المقنع» الذي فيه عرض وسط ، مصحوباً
بالتعليل . وقد شرحه ابن أخيه عبدالرحمن بن محمد
المقدسي .

و«الكافي» الذي يبحث في فروع الفقه الحنبلي ،

وهو أوسع من المقنع ، مع عرض بعض الأدلة الفقهية .
وتتوج هذه السلسلة بالكتاب الموسوعي « المغني » ،
الذي شرح فيه بإسهاب مختصر الحُرَفي . ويشتمل على
دراسة تحليلية للأدلة الفقهية .

وله عدا ما ذكر من كتب الفقه : مختصر كتاب
الهداية ، كتاب في مناسك الحج ، وآخر في ذم
الوسواس . وله فتاوى ومسائل منشورة ، ورسائل في الفقه
شتى كثيرة .

وله كتب أخرى في أصول الدين وعلوم القرآن
الكريم والرقائق واللغة كما ذكرنا . .

وقد سجّل يحيى بن يوسف الحنبلي بعض جهود
الشيخ موفق الدين العلمية في القصيدة التي أنشأها ،
يثني بها على الله - عز وجل - ، ويمدح النبي - صلى الله
عليه وسلم - ، والصحابة - رضي الله عنهم - ، وجماعة
من التابعين - رحمهم الله - ، ويذكر فيها الإمام أحمد بن
حنبل وجماعة من أصحابه ، وفيها يقول عن موفق :

ابن قدامة المقدسي

٢٢

القُدوة الحسنة

وفي عصرنا كان الموفِّق حجةً
 على فقهه الثبت الأصول معوّل
 كفى الخلق (بالكافي) وأقنع طالباً
 (بمقنع) فقهه عن كتاب مطوّل
 وأغنى (بمغني) الفقه مَنْ كَانَ باحثاً
 (وعمدته) مَنْ يَعتمدها يَحْصِلُ
 (وروضته) ذاتُ الأصول كروضه
 أماست بها الأزهار أنفاسَ شمائل
 تدلُّ على المنطوق أقوى دلالةً
 وتحمل في المفهوم أحسنَ محمل

* * *

وإذا كانت كتبه الفقهية منتشرة ، ذائعة الصيت ،
 وذات قيمة علمية كبيرة ، حتى قال سلطان العلماء
 العز بن عبد السلام : «لم تطب نفسي بالفتيا حتى صارت

ابن قدامة المقدسي

٣٣

القُدوة الحسنة

نسخة من المغني عندي» ، نظراً لأن مؤلفه أراد أن يكون كتابه في فقه المسلمين كافة ، فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين ، وعلماء الأمصار المشهورين ، كالأئمة المتبوعين ، ويحكي أدلة كلٍّ منهم ، وإذا رجَّح مذهب الحنابلة في كثير من المسائل فهو لا يتقص غيرهم ..

أقول : إذا كان هذا الفقيه العالم الجليل مبدعاً في كتاباته الفقهية ، فإنه كان حريصاً على الارتباط الدائم بالناحية التربوية ، كما عرفنا ذلك في سيرته وسلوكه ، وهو يربط العلوم بغايتها الأصلية ، ويوجِّه العباد إلى الربانية ، التي هي مصدر كل خير ، في حياة العالم والمتعلم .

ولذلك لا نرى هذا العالم مقيّداً في تخصصه الفقهي ، بل انطلق إلى معالم أرحب ، فكتب في

ابن قدامة المقدسي

٢٤

القوة الحسنة

موضوعات مختلفة ، وركز على موضوعات نادرة ذات فائدة جلية .

فراه مثلاً يجمع أخبار التائبين في كتاب ، نظراً لأهمية التوبة في حياة المجتمع المسلم . . فهي بداية للطريق الصحيح ، ومفتاح استقامة المنحرفين . وهو يقول في مقدمة الكتاب : «هذا كتاب ذكرت فيه بعض أخبار التوابين ، تشويقاً إلى أخبارهم ، وترغيباً في أحوالهم والاقتراء بهم . . . ونسأل الله تعالى أن يقبل توبتنا ، ويغفر حوبتنا^(١) ، ويسدّد ألسنتنا ، ويسلّ سخيمة^(٢) قلوبنا» .

ومن كتبه التربوية الرائعة كتاب «الرّقة والبكاء» الذي احتوى على أخبار صفوة عباد الله . . وقد ذكر أنه جمع موادّ هذا الكتاب ليعالج بها نفسه ، ويستجلب بها

(١) الحوب : الإثم ، وهو الذنب .

(٢) السخيمة : الحقد والضغينة .

ابن قدامة المقدسي

٢٥

القوة الحسنة

دموع عينيه ، ويرقق بها قلبه ، ليُخبت إلى ربه ، وليقطع كل علاقة أو وشيجة تحول بينه وبين الله - عز وجل - .

ولم ير أفضل من أخبار الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، وأخبار عباد الله الصالحين ، التي تخشع لسماعها القلوب ، وتنحدر لذكرها الدموع .. بل هو يقول : « فلم أر أجلب له ولا أجمع لما أردت من أخبار الصالحين ، الذين تنزل الرحمة عند أذكارهم ، وتحيا القلوب بسماع أخبارهم ، وتحصل السعادة باقتفاء آثارهم » .

فهذا عالم كبير يفعل ذلك ، ويبحث في بطون الكتب ما يرقق قلبه - بالإضافة إلى إمامته ومجالسه العلمية واشتغاله بالعلم طوال عمره - ليعود إليها بين كل فترة وأخرى ، عندما يشعر بفتور في النفس ، أو عدم تلمس خشوع في القلب .

هذا ما كان يفعله إمام جليل مثل ابن قدامة .. ثم يضع حصيلة ما جمعه بين أيدينا ، لنتتفع بها ، ونداوي بها قلوبنا ، ونرقق بها أفئدتنا .. فهل نحن فاعلون ..؟!

* * *

ابن قدامة المقدسي

٨

القُدوة الحسنة

وكان الشيخ الموفق قد تزوج ابنة عمه ، ورزق منها بأبي المجد عيسى ، وأبي الفضل محمد ، وأبي العز يحيى ، وصفية ، وفاطمة . ومات أولاده الثلاثة في حياته ، ولم يعقب من ولد الموفق سوى عيسى ، خلف ولدين وماتا ، وانقطع عقبه . توفي يوم الفطر سنة ٦٢٠هـ ، ودُفن بجبل قاسيون خلف الجامع المظفري . وقد شيعته دمشق في جنازة حافلة خاشعة !

وقد رثاه الشيخ صلاح الدين أبوعيسى موسى بن محمد بن خلف بن راجح المقدسي في قصيدة ، نقتطف منها قوله :

لم يبقَ لي بعد الموفق ، رغبةٌ
في العيش إن العيش سُم منقَعُ
صدرُ الزمان وعينه وطرأه
ركنُ الأنام الزاهد المتورّع
والعلم قد أمسى كأن بواكياً
تبكي عليه وحبله يتقطّع
وتعطّلت تلك المجالس وانقضت
تلك المحافل ليتها لو ترجع

ابن قدامة المقدسي

٢٧

القُدوة الحسنة

قد كنتَ عبداً طائعاً لا تنثني
 عن باب ربِّك في العبادة توسّع
 كم ليلة أحيتها وعمرتها
 والله ينظرُ والخلائق هُجَّع
 تتلو كتاب الله في جنح الدجى
 كزبور داود النبي ترجّع
 لو كان يمكن من فدائك رخصة
 لفدتك أفئدة عليك تقطّع

*

*

*

ثبّت المراجع

- ١ - . . . التوابين / تأليف موفق الدين بن قدامة المقدسي ؛
حقق نصوصه وعلق عليه عبدالقادر الأرنؤوط .- بيروت :
دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ .
- ٢ - الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية / تأليف أحمد أحمد
بدوي .- القاهرة : مكتبة نهضة مصر .
- ٣ - ذيل طبقات الحنابلة / لابن رجب .- بيروت : دار
المعرفة ، د.ت .
- ٤ - الرقة والبكاء / لموفق الدين بن قدامة المقدسي ، تحقيق
محمد خير يوسف (تحت الطبع) .
- ٥ - سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي ، تحقيق شعيب
الأرنؤوط وآخرين .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٠١ -
١٤٠٩هـ .
- ٦ - فوات الوفيات / محمد بن شاکر الكتبي ؛ تحقيق إحسان
عباس .- بيروت : دار صادر ، د.ت .
- ٧ - المغني / لموفق الدين بن قدامة المقدسي ، المحقق وغير
المحقق - المقدمتان .

ابن قدامة المقدسي

٢٩

القدوة الحسنة

- ٨ - هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين /
إسماعيل بن محمد الباباني .- إستانبول ، ١٩٥١ م .
- ٩ - الوافي بالوفيات / خليل بن أبيك الصفدي ؛ باعتناء وداد
القاضي .- فيسبادن ، ألمانيا : فرانز شتاينرت .

سلسلة القدوة الحسنة

- ١ - أبو بكر الصديق - خليفة رسول الله ﷺ .
- ٢ - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسرّ عدالته .
- ٣ - عمر بن عبد العزيز - الخليفة الزاهد .
- ٤ - سفيان بن عُيَيْنَةَ - شيخ الإسلام وحافظ العصر .
- ٥ - عبدالله بن المبارك - الإمام المجاهد .
- ٦ - الفضيل بن عياض - العالم القدوة .
- ٧ - ابن قدامة المقدسي - صاحب المغني .
- ٨ - صلاح الدين الأيوبي - ناصر السنة وقاهر الصليبيين .